INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY ISLAMABAD PAKISTAN
FACULITY OF ISLAMIC STUDIES (USULUDDIN)
DEPARTMENT OF HADITH AND ITS SCIENCES



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد ـ باكستان
كلية أصول الدين
قسم الحديث وعلومه
مرحلة الدكتوراه

عنوان الرسالة

علوم الحديث بين أهل السنة والشيعة الإمامية الاثني عشرية

(دراسة مقارنة)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور بركات الديب - حفظه الله -

(الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه)

إعداد الطالب:

حفيظ الرحمن بن حكيم عبدالجبار

رقم التسجيل: 107-FU/PHD/F08

العام الجامعي: ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ

٣- تدوين السنة عند أهل السنة والشيعة الإمامية ومؤلفاهما

٣- تدوين السنة عند أهل السنة والشيعة الاثني عشرية ومؤلفاتهما

إن الله سبحانه وتعالى جعل للعلوم محلّين: القلوب، والكتب المدونة، فمن أوتي سمْعاً واعياً، وقلباً حافظاً، فذاك الذي علَتْ درجتُه، وعظمتْ في العلم منـــزلته، ومن عجز عن الحفظ قلبُه، فخط علمه وكتبه، كان ذلك تقييدا منه له، إذ كتابته عنده آمن من قلبه، لما يعرض للقلوب مِن النسيان، ويتقسّم الأفكار من طوارق الحدثان.

ولما كان علم الحديث من أصول الفروض وجب الاعتناء به، والاهتمام بضبطه وحفظه، ولذلك يسره الله سبحانه وتعالى له العلماء الثقات الذين أحاطوا به، فتناقلوه كابراً عن كابر، وأوصله كما سمعه أولُ إلى آخر، وحبّب الله تعالى لهم بحكمته حفظ دينه وحراسة شريعته، فما زال هذا العلم من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أشرف العلوم وأجلّها لدى الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، خلفاً بعد سلَف لا يُشرف بينهم أحد بعد حفظ كتاب الله تعالى، إلا بقدر ما يحفظه منه، ولا يُعظم في النفوس إلا بقدر ما يُسمع من الحديث عنه، فتوفرت الرغبات فيه، وانبعثتْ العزائمُ إلى تحصيله، وكان اعتمادهم أولاً على الحفظ والضبط في القلوب غير ملتفتِين إلى ما يكتبونه محافظةً على هذا العلم كحفظهم كتاب الله تعالى.

فلما انتشر الإسلامُ واتسعت البلادُ، وتفرق الصحابةُ في الأقطار، ومات معظمُهم، وقلّ الضبطُ احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة.

وقبل الدخول في التفاصيل لابد أن نعرف التدوين كيف نشأ وتُطوِّر، ثم نذكر مراحل تدوين السنة وأهم المصنفات التي عنيت بتدوين الحديث الشريف عند أهل السنة والشيعة الاثني عشرية.

تدوين الحديث في القرن الأول:

كان العرب قبل الإسلام يكتفون بالرواية، وكان عليها اعتمادهم في حفظ أشعارهم وأنسابهم وأخبارهم وخُطَبِهم، فقد كانت لديهم ملكة الحفظ وقوة الذاكرة، فلم يكونوا يعتمدون على الكتابة، ولذلك قلّتِ الكتابة فيهم، وقلّ عددُ الكُتّاب، ووُصِفوا بأنهم أمةٌ أُمّية، كما جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ هُوالَّذِيْ بَعَثَ فِي الأُمِّيِّيْنَ رَسُوْلاً مِّنْهُمْ ﴾ (١).

وكذا جاء هذا الوصف في الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: " إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لاَ نَكْتُبُ ولاَ نَحْسُبُ، اَلشَّهْرُ هكَذَا وَهكَذَا " (٢).

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لاَ نَكْتُبُ ولاَ نَحْسُبُ "، برقم (١٩١٣)، ومسلم في كتاب الصيام: باب وجوب صيام رمضان برؤية الهلال، برقم (١٠٨٠) كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذا لا يعني أنه لا وجود للكتابة في مجتمع مكة والمدينة، بيد أن عدد الكتّاب كان قليلا، ومَا إن اتسع الإسلام وانتشر في جزيرة العرب، حتى انتشرت الكتابة على نطاق واسع نظراً لأن القرآن الكريم حث على الكتابة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (١).

واهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة في قضية عسكريّة، حيث جعل فداء الأسرى من المشركين، مَن كان يعرف منهم الكتابة والقراءة، أن يُعلّم كلّ منهم عَشَرَةً من أولاد المسلمين، فيكون فداءه ذلك.

كما روى عكرمة (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كَانَ نَاسٌ مِنْ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلاَدَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ..." (٣).

وظهر أيضا من الصحابة عدد كبير ممن كان يعرف القراءة والكتابة، منهم عبد الله بن سعيد بن العاص، وسعد بن الربيع الخزرجي، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وأبان بن سعيد بن العاص وغيرهم رضي الله عنهم(٤).

وقد قام بعض الكتّاب بتدوين القرآن الكريم، وكتب القرآن جميعه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان قد كُتِب في عهده صلى الله عليه وسلم مفرقا في العُسُب واللّخاف (٥) بيد أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر لم يأذن في جمع الأحاديث وتدوينها وكتابتها كما أذن لهم في جمع القرآن وكتابته على وجه الشمول والإستيعاب، ولعل ذلك يرجع إلى حصر جهودهم في نطاق تدوين القرآن، إلى جانب مخافة حدوث اللبس والاختلاط عند العامة بين الصحف التي كُتب فيها القرآن بصحف الحديث، خاصة في فترة نزول الوحي بالقرآن، حيث أن عامة المسلمين لم يعتادوا أسلوب القرآن، فلذلك ورد النهي عن جمع الأحاديث.

وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ- قال هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قال- مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "(٦).

ولّما حصل التمييز بين القرآن والسنة انتفى ما كان يمنع من كتابة الحديث، وزال الخوف وأمن اللبس والإختلاط بين القرآن والأحاديث، عند ذلك أذن النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه بالكتابة، فقد

---

(١) البقرة ٢٨٢.

(٢) هو ابن عبد الله مولى ابن عباس، أصله بَرْبَرِي، مكي تابعي ثقة ثبت، عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، واعتمده البخاري مات سنة ١٠٧ هـ، وقيل بعد ذلك. الكامل في ضعفاء الرجال ٤٦٩/٦، والسير ٥٠٤/٥، وميزان الاعتدال٩٣/٣، والتقريب ٣٠/٢.

(٣) أخرجه أحمد ٢٤٧/١، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند ٩٢/٤ (٢٢١٦)، والبيهقي ٢٠٦/٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٥٢٢/٣،٥٣١، وتهذيب التهذيب ٤٦٤/١.

(٥) العُسُب: جمع عَسِيب، أي جريدَة من النَّخْلِ. وهي السَّعَفَة مِمَّا لا يَنْبتُ عليه الخُوصُ النهاية في غريب الأثر ٤٦٤/٣. واللخاف: هي جمع لَخْفَة، وهي حِجارةٌ بِيضٌ رِقاق، النهاية في غريب الأثر ٤٦٥/٤.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزهد: باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم برقم(٣٠٠٤).

وردت أحاديث تدل على إباحة الكتابة لبعضهم، فمن ذلك ما رَوى أبو جحيفة [١] حين سأل علياً رضي الله عنه: " هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟، وقال ابن عيينة [٢] مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يُعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة "، قلت: وما في الصحيفة؟ قال:" العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر" [٣].

ومما يدل على إباحة الكتابة ما رُوى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب " [٤].

وما رُوي من حديث أن أبا شاه [٥] رجل من أهل اليمن [٦] التمس من أن يكتب له شيءا سمعه من خطبته عام حجة الوداع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أُكْتُبُوا لأَبِي شَاه " [٧].

ومن هذه الروايات وغيرها يتضح جلياً أن الحديث قد كُتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويشهد لذلك ما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لعُمَّاله بشأن الزكوات وأنصبتها، وما كُتب من العهود بينه وبين اليهود بالمدينة، وبينه وبين المشركين في الحديبية، والكُتب التي كَتَبها إلى الأمراء والملوك، وما ثبت مِن أنه كتب كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات.

وبعد أن انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى اختلف الصحابةُ في كتابة الحديث وتدوينه في الكتب.

فكرهها طائفة: منهم أبو سعيد الخدري وابن مسعود وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة وابن عباس

---

(١) وهب بن عبد الله السوائي بضم المهملة والمد، ويقال: اسم أبيه وهب أيضا، أبو جحيفة مشهور بكنيته ويقال له وهب الخير، صحابي معروف وصحب عليا، مات سنة أربع وسبعين. الطبقات الكبرى ٣٦/٦، تاريخ الإسلام ٢١٨/٣، التقريب ٣٣٨/١.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه أمام حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، مات في رجب سنة ١٧٨ هـ. التاريخ الكبير٩٤/٤، وتهذيب الكمال ٢٦٤/٤، والسير ٤٥٤/٨، والتقريب ٣١٢/١. أما قول ابن حجر: " تغير حفظه بأخرة " فلا يصح، فقد رده الذهبي على من قاله بقوة فقال: " هذا منكر من القول ولا يصح ولا هو بمستقيم ". تحرير تقريب التهذيب ٥١/٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات: باب لا يُقتلُ المسلمُ بالكافر برقم(٦٩١٥).

(٤) المصدر السابق، كتاب العلم: باب كتابة العلم برقم(١١٢).

(٥) ويقال: إنه كلبي، ويقال إنه فارسي من الأبناء الذين قدموا اليمن. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٨٧/٤، وأسد الغابة ١٦٢/٥، والإصابة ١٧١/٧.

(٦) اليَمَنُ: بالتحريك، قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، قال ابن عباس: تفرّقت العرب فمن تيامن منهم سمّيت اليمن... وقال الأصمعي: اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشّحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة، وبينونة: بين عمان والبحرين وليست بينونة من اليمن. معجم البلدان ٤٤٧/٥.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب اللقطة: باب كيف تُعرّف لقطة أهل مكة ؟ برقم(٢٤٣٤). ومسلم في كتاب الحج: باب تحريم مكة وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها برقم(١٣٥٥) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه

وابن عمر رضي الله عنهم. ومَن بعدهم مِن التابعين: منهم أبو إدريس [١] وأبو العالية [٢] وإبراهيم النخعي [٣] والأعمش [٤] وعبيد الله بن عبد الله [٥] وعَبِيدَة السلماني [٦] وعمرو بن دينار [٧] والقاسم بن محمد [٨] ومحمد بن سيرين [٩] وغيرهم.

وذهب طائفة إلى إباحتها: منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم. ومن التابعين كالحسن البصري وعطاء بن أبي رباح [١٠] وسعيد بن جبير [١١] وعمر بن عبد العزيز [١٢] وغيرهم.

ولقد بيَّن العلماء والباحثون السبب في اختلافهم بتدوين الأحاديث وعدم تدوينها تدويناً كاملاً بهذا الصدد. وكان الخطيب البغدادي [١٣] من المتقدمين الذين تصدوا لبحث هذه المسألة في كتابه " تقييد العلم " في

---

(١) هو عائذ الله بن عبد الله الخولاني، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وسمع من كبار الصحابة، ومات سنة ٨٠ هـ. قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء. السير ٢٧٢/٤، والتقريب ٣٩٠/١.

(٢) هو رفيع بن مهران الرياحي، البصري، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام، ثقة كثير الإرسال، مات سنة ٩٠ هـ، وقيل: ٩٣، وقيل: بعد ذلك. السير ٢٠٧/٤، والتقريب ٢٥٢/١.

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، الفقيه، ثقة، إلا أنه يرسل كثيراً، مات سنة ٩٦ هـ وهو ابن ٥٠ سنة أو نحوها. التقريب ٤٦/١.

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش. ثقة حافظ، عارف بالقراءة، ورع، لكنه يدلس، مات سنة ١٤٧، أو ١٤٨ هـ. التقريب ٣٣١/١.

(٥) هو ابن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله الهذلي، المدني، ثقة فقيه، ثبت، مات سنة ٩٤ هـ، وقيل سنة ٩٨، وقيل غير ذلك. السير ٤٧٥/٤، والتقريب ٥٣٥/١.

(٦) هو ابن عمرو السلماني، المرادي، أبو عمرو الكوفي، تابعي كبير، مخضرم، ثقة ثبت، كان شريح إذا أشكل عليه شيء سأله مات سنة ٧٢ هـ، أو بعدها، والصحيح أنه مات قبل سنة ٧٠. السير ٤٠/٤، التقريب ٥٤٧/١.

(٧) هو أبو محمد الأثرم المكي، الجمحي مولاهم، ثقة ثبت، مات سنة ١٢٦ هـ. السير ٣٠٠/٥، والتقريب ٦٩/٢.

(٨) هو ابن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة. قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، مات سنة ١٠٦ على الصحيح. التقريب ١٢٠/١.

(٩) هو أبو بكر بن أبي عمرة الأنصاري، مولى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، البصري. شيخ الإسلام، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، توفي سنة ١١٠ هـ. تاريخ بغداد ٣٣١/٥، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١٩٢/٤، والتهذيب ٢١٢/٩، والتقريب ١٦٩/٢.

(١٠) هو أبو محمد القرشي مولاهم المكي. ثقة فقيه فاضل، توفي سنة ١١٤ هـ على المشهور. الجرح والتعديل ٣٣٠/٦، ووفيات الأعيان٢٦١/٣، وميزان الاعتدال٧٠/٣.

(١١) هو ابن هشام الوالبي، الأسدي مولاهم الكوفي. أحد الأعلام، ثقة ثبت فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة. قتل بين يدي الحجاج دون المائة سنة ٩٥ هـ، ولم يكمل الخمسين. الطبقات الكبرى ٢٨٦/٦، وتذكرة الحفاظ ٧١/١، والسير ٣٢١/٤، والتقريب ٢٩٢/١.

(١٢) هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولّي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعدّ مع الخلفاء الراشدين، مات في رجب سنة ١٠١ هـ وله ٤٠ سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف. السير ١١٤/٥، والتقريب ٥٩/٢.

(١٣) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب. أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، مهرة الحديث، الفقيه الشافعي قال السمعاني عنه: كان مهاباً موقراً ثقة حجة، حسن الحفظ كثير الضبط. وفيات الأعيان ٢٧/١، وتذكرة

هذا الشأن [(١)].

ومن المتأخرين الذي أجاد في ذلك الكلام هو العلامة المعلمي [(٢)] رحمهم الله تعالى جميعاً [(٣)].

ثم استقر الأمر والإجماع على جواز كتابة الحديث وتدوينه، بل على استحباب ذلك. ومنهم من قال بالوجوب لمن خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم للناس.

مراحل تدوين السنة عند أهل السنة

المرحلة الأولى: تدوين السنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي.

إن الروايات تبين لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجِّه رسائل الدعوة إلى الأطراف، ويراسل الملوك والرؤساء، ويكتب العقود والمعاهدات، وكذلك أملى على بعض أصحابه، ما كتبوه من أحاديثه وأقواله كما مر ذكره.

قال الدكتور نورالدين عتر: " وردت أحاديث كثيرة عن عدد من الصحابة تبلغ بمجموعها رتبة التواتر في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبويِّ في عهده صلى الله عليه وسلم " [(٤)]. وقد ذُكرت بعضها قبل قليل.

المرحلة الثانية: تدوين السنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مقتل عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ.

وتتميّز هذه المرحلة بصفائها وبُعدها عن أسباب الخطأ والكذب، لقصر الإسناد، وقوّة الحافظة، وعدم ظهور الفتن، وشدّة الاحتياط في التبليغ للسُّنَّة. وكان التدوين في هذه المرحلة قليلاً، ولم يكن بغرض التخليد، وإنما كان بغرض الإعانة على الحفظ في الصدور. ودوِّنت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعُرفتْ في التاريخ بالصُّحف مثل صحيفة أبي بكر، وصحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وغيره. والله أعلم.

نماذج من الصحف التي دَوَّنَها الصحابةُ رضي الله عنهم في هذه المرحلة:

منها " صحيفة أبي بكر الصديق ": وهي في فرائض الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله

الحفاظ٣/١١٣٥، والأعلام ١/١٧٢.

(١) تقييد العلم ص ٢٩ – ٦٤.

(٢) هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي، العتمي، فقيه من العلماء. نسبته إلى (بني المعلم) من بلاد عتمة، باليمن ولد ونشأ في عتمة، وتردد إلى بلاد الحجرية (وراء تعز) وتعلم بها. وسافر إلى جيزان سنة ١٣٢٩هـ في إمارة محمد بن علي الإدريسي بعسير، وتولى رئاسة القضاة ولقب بشيخ الإسلام. وبعد موت الإدريسي سافر إلى الهند وعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، مصححا كتب الحديث والتاريخ حوالي سنة ١٣٤٥هـ زهاء ربع قرن، وعاد إلى مكة سنة ١٣٧١هـ، فعين أمينا لمكتبة الحرم المكيّ ١٣٧٢هـ إلى أن شوهد فيها منكبا على بعض الكتب وقد فارق الحياة سنة ١٣٨٦ هـ وقيل: بل توفي على سريره. ودفن بمكة. الأعلام ٣/٣٤٢.

(٣) الأنوار الكاشفة ص ٣١-٥٣.

(٤) منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٠.

عليه وسلم على المسلمين. ويبدو أنه كان نسخة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات.

فقد قال أنس بن مالك: " أن أبا بكر رضي الله عنه، كتب له هذا الكتاب لما وجّهه إلى البحرين (١): بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله،.... ألخ " (٢).

و" صحيفة علي بن أبي طالب ": كما ورد ذكره في رواية أبي جحيفة حين سأل علياً رضي الله عنه: " هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ فقال: " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يُعطى... " (٣).

و" صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص ": وكان يسميها " الصادقة " (٤)، وكانت هذه الصحيفة أعز شيء عنده.

قال مجاهد (٥): " دخلت على عبد الله بن عمرو، فتناولت صحيفة تحت رأسه، فتمنّع عليّ. فقلت: تمنعني شيءاً من كتبك؟ فقال: إن هذه الصحيفة الصادقة التي سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه أحدٌ، فإذا سَلِمَ لي كتابُ الله وهذه الصحيفةُ والوهطُ (٦)، لم أبال ما ضيعتُ الدنيا " (٧).

و" صحيفة عبد الله بن أبي أوفى ": كما رُوي عن سالم أبي النضر (٨) مولى عمر بن عبيد الله (٩) وكان كاتبـه قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البَحْرَين: هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم، إلاّ أن الزمخشري قد حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون: هذه البحران وانتهينا الى البحرين. وقال صاحب الزيج: البحرين في الإقليم الثاني، وقال قوم: هي من الإقليم الثالث، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة. معجم البلدان ١/٣٤٥-٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة: باب زكاة الغنم برقم (١٤٥٤).

(٣) المصدر السابق في كتاب الديات: باب لا يُقتلُ المسلمُ بالكافر برقم (٦٩١٥) ، وقد تقدم أيضاً في ص ٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٣٧٣، ٧/٤٩٤، وسنن الدارمي برقم (٥١٣).

(٥) هو ابن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم. ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة ١٠١، أو ١٠٢، أو ١٠٣، أو ١٠٤ هـ، وله ٨٣ سنة. التاريخ الكبير ٧/٢٨٩، وتهذيب الكمال ٢٧/٢٢٨، والتقريب ٢/٢٢٩.

(٦) الوَهْط: المكان المطمئن المستوي ينبت العضاه والسَّمر والطلح، وبه سمي الوهط. وهو بستان عظيم كان لعمرو بن العاص بالطائف. وقال ابن الأعرابي: عرش عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم، فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال: أحب أن أنظر إليه، فلما رآه قال: هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله. معجم البلدان ٥/٣٨٦.

(٧) تقييد العلم، ص ٨٤ . والسير ٣/٨٩.

(٨) هو سالم بن أبي أمية أبو النضر، مولى عمر بن عبيد الله التيمي وكاتبه، المدني، ثقة ثبت، وكان يرسل، مات سنة ١٢٩ هـ السير ١١/٣، التقريب ١/١٧٩.

(٩) هو ابن معمر أبو حفص التيمي الأمير، من أشراف قريش، كان جوادا، ممدحاً، شجاعا، كبير الشأن، له فتوحات مشهودة، ولي البصرة لابن الزبير. وولي إمرة فارس، ثم وفد على عبد الملك، وتوفي بدمشق سنة ٨٢ هـ السير ٧/١٨٩.

قال: " وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ " (١).

و" صحيفة أبي موسى الأشعري ": ويقال أنه كان يعارض الأحاديث النبوية، حتى محا ما كتبه تلميذه وهو ابنه أبو بردة (٢)، (٣).

ولكن يبدو أنه كتب كتابا إلى عبد الله بن عباس لما قدم البصرة (٤)، فكان يحدث عن أبي موسى فكتب عبد الله إلى أبي موسى يسأله عن أشياء؟ فكتب إليه أبو موسى: " إني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فأراد أن يبول، فأتى دَمِثاً (٥) في أصل جدار فبال، ثم قال: صلى الله عليه وسلم: " إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ فَلْيَرْتَدْ لِبَوْلِهِ مَوْضِعاً " (٦).

و" صحيفة جابر بن عبد الله " رضي الله عنهم، وجابر بن عبد الله هو من المؤلفين الأوائل، وله منسك صغير في الحج أخرجه مسلم (٧)، (٨).

ونستطيع أن نقول أن هذه الصحف هي النواة الأولى لما صُنِّف في القرنين الثاني والثالث.

وقد ذكر الدكتور محمد مصطفى الأعظمي (٩) اثنين وخمسين اسماً من الصحابة ومكتوباتهم التي كتبوها أنفسهم، وكذا الكتابات التي كُتبت عنهم (١٠).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد: باب الجنة تحت بارقة السيوف برقم (٢٨١٨).

(٢) هو ابن أبي موسى الأشعري، ثقة، مات سنة ١٠٤ هـ وقيل غير ذلك. السير ٥/٥، والتقريب ٢/٣٩٤.

(٣) تقييد العلم ص ٣٩.

(٤) البصرة: وهما بصرتان: العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب، والمراد هنا بالعظمى التي بالعراق، البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدوابّ، وقيل: البصرة حجارة رخوة فيها بياض. وشهرتها اغتنى عن ذكرها لكن ذكرتها لكي لا يخلو الكتاب عنها، يقال لها قبة الإسلام وخزانة العرب، وإنما بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان بناؤها في سنة سبع عشرة من الهجرة، وسكنها الناس سنة ثماني عشرة، ولم يعبد الصنم قط على أرضها، هكذا كان يقول أبو الفضل عبد الوهاب بن أحمد بن معاوية الواعظ بالبصرة. وقد تخرّج منها أئمة الأعلام لا تُعدّ ولا تحصى. الأنساب ٢/٢٥٣، ومعجم البلدان ١/٣٤٥-٣٤٦.

(٥) دَمِثا: بفتح الدال والميم مفتوحة أو مكسورة. قال ابن الأثير: "وأصله من الدَّمْث وهو الأرض السهلة الرِّخوة والرَّملُ الذي ليس بمُتلبِّد. يقال دَمِثَ المكانُ دَمَثاً إذا لان وسَهُل. فهو دَمِثٌ ودَمْثٌ" النهاية في غريب الأثر ٢/١٣٢.

(٦) أخرجه أبوداود برقم (٣)، وإسناده ضعيف لإبهام شيخ أبي التياح، لأنه لم يسم وأحمد ٤/٣٩٦، ٤١٤، وفيه: قال أبو التياح حدثني رجل أسود طويل. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. وهو أول حديث في " ضعيف سنن أبي داود " برقم (١)، وينظر أيضا: ضعيف الجامع الصغير برقم (٣١٩).

(٧) هو ابن الحجاج بن مسلم القُشيري، النيسابوري، ثقة حافظ، إمام مصنف، عالم الفقه، مات سنة ٢٦١ هـ، وله ٥٧ سنة. السير ١٢/٥٥٧، والتقريب ٢/٢٤٥.

(٨) أخرجه مسلم في الحج: باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/٨٨٦-٨٩٣ برقم (١٢١٧-١٢١٨).

(٩) هو محمد مصطفى الأعظمي الهندي. ولد سنة ١٣٥٠هـ تخرّج من دارا العلوم بديو بند في حدود سنة ١٣٧٢ هـ ثم التحق بالأزهر بمصر، قد نال جائزة الملك فيصل العالمية لدراسات الإسلامية سنة ١٤٠٠ هـ ينظر: في موقع ملتقى أهل الحديث.

(١٠) ينظر: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: في الفصل الأول تحت عنوان " كتابة الصحابة والكتابات عنهم " ١/٩٢-١٤٢.

المرحلة الثالثة: تدوين السنَّة في جيل الصحابة لمحو سنة ٨٠ هـ.

قد حدثت أحداث عظيمة في التاريخ الإسلامي في ذلك الزمن كمقتل عثمان رضي الله عنه، وفارقت حياة أغلب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فتميّزت هذه المرحلة بحصول الفتنة التي فرّقت المسلمين أحزاباً وشيعاً، وبظهور بعض البدع، وبانتشار بقية الصحابة في البلدان شرقاً وغرباً. وفي هذه الفترة ظهرت المطالبة بالإسناد [١].

رُوي عن ابن سيرين قال: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثُهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثُهم " [٢].

ومن أغرب المواقف في ذلك استحلافُ أحد التابعين، وهو عَبِيدَة السَّلْمَانِي حين قام إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في روايته لحديث فقال: " يا أمير المؤمنين! الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثا، وهو يحلف له " [٣].

قال مجاهد بن جبر: " جاء بُشَير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث، ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تسمع، فقال ابن عباس: " إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابتدرتْه أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب، والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف " [٤].

فهذه الآثار تدل على نشوء علم الجرح والتعديل كما دل عليه مطالبة استحلاف عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب في روايته لحديث، وفي أن الجهل بحال المحذوف من الإسناد علةٌ يُرَدّ به الخبر كما دل عليه موقف ابن عباس من المراسيل [٥]. ثم لم يزل التدوين في هذا الجيل قليلاً، لإمكان حفظ الصدورِ القيامُ بواجب النقل الكامل.

المرحلة الرابعة: تدوين السنة في جيل التابعين، وهذه المرحلة تبدأ من لمحو سنة ٨٠ هـ إلى لمحو سنة ١٤٠ هـ، بموت غالب التابعين.

وقد كانت البداية طول الإسناد في هذه المرحلة، ولتشعّب الأسانيد، واختلف رواتها، مع زيادة انتشار الروايات، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم، وبموت كثير من حفاظ السنَّة، فخيف بذهابهم أن

---

(١) ذكر مسلم في مقدّمة صحيحه عدة روايات تحت باب " باب في أن الاسناد من الدين.. " ١/١٤-١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة: باب التحريض على قتل الخوارج، برقم(١٠٦٦).

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي عن الرواية الضعفاء ١/١٣.

(٥) المصدر السابق.

يذهب كثير من السنَّة. وضعف ملكة الحفظ مع زوال كثير من أسباب كراهية الكتابة وانتشارها. وفُشُوّ الكذب وزيادة الغلو ونشوءه في البدع والأهواء، مما أدّى إلى أن يروي من ليس بأهلٍ للاطمئنان إلى روايته أن كان الهاجسُ الأكبر لدى علماء التابعين حينها هو: خوفُ تفلُّتِ شيءٍ من السنّة، وتحديثُ من لا يؤمن على النقل، ووقوعُ الاختلال في ضبط المنقول. فواجهوا كل خطرٍ من هذه الأخطار بما يدفعه.

وقد ذكر الدكتور محمد مصطفى الأعظمي عددا كبيرا من الصحف التي دونها التابعون، منها صحف سعيد بن جبير وصحف مجاهد بن جبر المكي – تلميذان لابن عباس–، وصحف عامر بن شراحيل الشعبي [١]، وصحف عروة بن الزبير بن العوام، وصحيفة أبي الزبير المكي [٢] – تلميذ جابر بن عبد الله–، وصحيفة أيوب بن أبي تميمة السختياني [٣]، وصحيفة هشام بن عروة [٤]، وغير ذلك من الصحف التي رويت عن التابعين [٥].

وكانت هي الأساس لما صُنِّف في القرنين الثاني والثالث.

المرحلة الخامسة: تدوين السنة في جيل أتباع التابعين، وهذه المرحلة تبدأ من سنة ١٤٠ هـ، وتنتهي سنة ٢٠٠ هـ.

وتميزت هذه المرحلة بخصائص منها: أن طال الإسناد أكثر مما كان عليه، وما يتبع ذلك من زيادة تشعُّب الأسانيد واختلاف الرواة، مع ما يصحب ذلك من تعسُّر الحفظ. كما أنه قد زادت أيضاً بعض خصائص المرحلة السابقة وضوحاً، كانتشار السنّة في الآفاق، وظهور البدع وغُلُو أصحابها فيها. كما أنّ هذه المرحلة قد ورثت جهوداً مباركة من الجيل السابق في جمع السنّة حفظاً وتدويناً.

ومع هذا قد واجه العلماء أخطار هذه المرحلة بنفس الأمور التي واجه بها علماءُ المرحلة السابقة أخطارهم، وزادوا عليها أموراً، ففي مجال تدوين السنة صار الحرص على التدوين كاملاً [٦].

لقد انتهت هذه المرحلة، مؤذنةً ببداية أعظم عصور السنة، عصرِ الاكتمال والنضج النهائي في تدوين السنة.

المرحلة السادسة: تدوين السنة في القرن الهجري الثالث.

لقد دخل القرن الهجري الثالث بعد جهودٍ عظيمةٍ متابعة من علماء الأمّة في تدوين السنة وجمعها، وفي نقدها تعليلاً وجرحاً وتعديلاً، وتُلُقّيتْ تلك العلوم الجليلة بقوّة وإقبال منقطعة النظير. ولذلك فإن الحديث عن هذا القرن وعن جهوده في خدمة السنة لا تقوم بها مقالة، ولا أيّ بحث أوكتاب، بل هو حقيقٌ ببحوث

---

(١) هو ابن شراحيل أبو عمرو الشعبي. ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات بعد ١٠٠، وله نحو من ٨٠ سنة. التقريب ٣٨٧/١.

(٢) هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي، مولاهم، صدوق، إلا أنه يدلس، مات سنة ١٢٦ هـ. التقريب ٢٠٧/٢.

(٣) هو أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد، مات سنة ١٣١ هـ، وله ٦٠ سنة. التقريب ٨٩/١.

(٤) هو ابن الزبير بن العوّام الأسدي، ثقة فقيه، ربما دلّس، مات سنة ١٤٥ أو ١٤٦ هـ، وله ٨٧ سنة. التقريب ٣١٩/٢.

(٥) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ١٤٣/١–٢٢٠، لقد أحصى أكثر من (١٥٠) تابعيًا ممن دوّن. ومع كثرة هذا العدد هو شيءٌ يسيرٌ مما يمثّل الواقع فهو أوّلاً إحصاء غير مستقصي، لأخبار لم يعتن العلماءُ بنقلها، فوصول هذا العدد إلينا يدلّ على ما وراءه.

(٦) ينظر تاريخ الإسلام للذهبي جزء١٣ في حوادث سنة ١٤٣هـ

وكُتُب!! لأن كلَّ إمامٍ من أئمة هذا القرن هو بحدّ ذاته مدرسةٌ عظمى.

ففي هذا القرن كان يجب على الدارسين لعلوم السنة أن يقيموا البحوث والدراسات حول منهجه وأثره على علوم السنة. غير أنّ نجد في هذا المقال بعض الجوانب التي تبرزُ في هذا القرن جهودَ علمائه في تكميل جهود علماء القرنين السابقين له، حتى بلغ علماء هذا القرن بعلم الحديث القمّة السامقة، التي لا يُمكن أن يزاد على منهجها في النقل والنقد.

أمّا في مجال تدوين السنة، فهذا عصر أصول السنة العظام وأمهات المصنفات فيها، وقد أدّت تلك الجوامع الكبار دَوْرها، وأثمرتْ ثمارَها، وأينعتْ في منتصف هذا القرن، بأن ابتدأتْ أنظارُ العلماء تَلْتَفتُ إلى شيءٍ آخر سوى الجمع، مما يشهد إلى أن الشعور بخوف ضياع شيءٍ من السنّة قد زال ، وهذا ما جعل العلماء يتّجهون إلى وجوهٍ جديدةٍ في خدمة تدوين السنّة، لا يقتصر في خدمته على مجرّد الجمع، بل يستثمر الجمع السابق للوصول إلى هدف آخر وغايةٍ أبعد.

والخدمة المتوقّعة بعد ذلك الجمع الذي لم يَعْتَنِ بتمييز الصحيح من السقيم. لأن الذين قاموا به كانوا يعتبرون الجمع الموسَّع في تلك المرحلة هو الأَولى بالتحقيق من أن يُعتنى بتمييز الصحيح من السقيم، بل هذا هو الذي كان يجب أن يقوم به العلماء فعلاً بعد اكتمال الجمع، حيث إنّ هذا الجمع لن يؤدِّي هدفه الأخير بغير بيان ما يصلح منه للعمل والاحتجاج مما لا يصلح لذلك. وهذا ما سبق إليه الإمام البخاري[1] ، في كتابه " الصحيح "، بإشارة من أحد شيوخه وهو إسحاق بن راهويه [2]، [3].

ثم إن مسلماً تبع البخاريَّ في جمع كتاب مختصر في الصحيح، سائراً على خُطى شيخه في تحقيق الهدف نفسه.

المرحلة السابعة: تدوين السنة في القرن الرابع الهجري.

لقد دخل القرن الرابع وهو يحمل إرثاً عظيماً وثقيلاً، لقد كان مِنْ قَدَرِ الله تعالى له أن يكون مرحلةَ ما بَعْدَ الاكتمال، وليس بعد الاكتمال إلا النقص [4].

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، أمير المؤمنين في الحديث، جبل الحفظ، وإمام الدنيا، ثقة الحديث، مات سنة ٢٥٦ هـ، وله ٦٢ سنة. السير ٣٩١/١٢، والتقريب ١٤٥/٢.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد ابن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، مات سنة ٢٣٨ هـ، وله ٧٢ سنة. السير ٣٥٨/١١، والتقريب ١٤٥/٢.

(٣) هدي الساري ص ٦- ٧.

(٤) ذكر الشيخ حاتم العوني هذه المراحل كلها لتدوين السنة – وهي تبدأ من المرحلة الثانية وتنتهي على المرحلة السابعة – في بحثه " بيان الحَدِّ الذي يَنْتهي عنده أَهْلُ الاصطلاحِ والنَّقْد في علوم الحديث " تحت هذه الترجمة " المقالة الثانية: التاريخ الواقعي لأطوار علوم الحديث "، وذكرت هذه المراحل كلها بالاختصار مع بعض الزيادات المفيدة فيها. غير أنه لم يذكر فيه المرحة الأولى وقد أضفتها.

أنواع المصنفات التي عنيت بتدوين الحديث النبوي:

قد نوّع العلماء المحدثون من أهل السنة تصانيفهم، وتفننوا فيها، ومن أهم أنواع التصنيف عندهم الأنواع الآتية.

الكتب المصنفة على الأبواب الفقهية:

ويشمل هذا النوع من التصنيف كتب الجوامع [١]، والسنن [٢]، والمصنفات [٣]، والموطآت [٤]، والمستدركات [٥]، والمستخرجات [٦].

الكتب المرتبة على أسماء الصحابة:

وهي كتب تجمع الأحاديث التي يرويها كل صحابي في موضع خاص وإن اختلفت أنواع أحاديثه. ويشمل هذا النوع من التصنيف كتب المسانيد [٧]، والأطراف [٨]، والمعاجم [٩] المصنفة على هذه.

---

(١) الجوامع جمع " جامع "، والجامع في اصطلاح المحدثين كل كتاب حديثي يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد والأحكام والرقاق والآداب، وما يتعلق بالتفسير والتاريخ، والسير والفتن والمناقب والمثالب وغير ذلك، مثل الجامع الصحيح للبخاري، ومسلم. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص ٤٢.

(٢) السنن: وهي في اصطلاح الأصوليين الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها، وليس فيها شيء من الموقوف، لأن الموقوف لا يسمى في اصطلاحهم سنّة ويسمى حديثا، كالسنن الأربعة، والسنن للشافعي والدارمي والدارقطني والبيهقي. الرسالة المستطرفة ص ٣٢.

(٣) المصنَّف: وهو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، والمشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة. أي فيه: الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة، وفتاوى التابعين، وفتاوي أتباع التابعين أحياناً، كمصنَّف عبد الرزاق وابن أبي شيبة. أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص ١١٨.

(٤) الموطآت جمع " موطأ "، والموطأ في اصطلاح المحدثين هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، ويشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، وهو " كالمصنف " تماماً وإن اختلفت التسمية، كموطأ الإمام مالك بن أنس. أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص ١١٩.

(٥) المستدركات: جمع " مستدرك "، والمستدرك هو كل كتاب جَمع فيه مؤلِّفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاته على شرطه، مثل " المستدرك على الصحيحين " لأبي عبد الله الحاكم. تيسير مصطلح الحديث ص ١٦٩.

(٦) المستخرجات: جمع " مستخرج " والمستخرج عند المحدثين هو: أن يأتي المصنِّف إلى الكتاب، فيخرِّج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه. وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعدَ، حتى يفقد سنداً يوصِّله إلى الأقرب، إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة. كمستخرج الإسماعيلي على الصحيح للبخاري، والمستخرج لأبي عوانة الإسفراييني على الصحيح لمسلم. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١/١١٧.

(٧) المسانيد: وهي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة. أي بمعنى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة، كمسند أحمد بن حنبل ومسند للحميدي. مقدمة تحفة الأحوذي ص ١١٢.

(٨) الأطراف جمع "طرف"، و" طرف الحديث " معناه الجزء من متن الدال على بقيته، وكتب الأطراف هي التي يقتصر فيها مؤلفوها على ذكر طرف الحديث الدال على بقيته، مع الجمع لأسانيده، إما على سبيل الإستيعاب، أو على جهة التقيّد بكتب مخصوصة. ومثالها: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي. والغالب أن مؤلفي الأطراف رتبوها على مسانيد الصحابة، مرتبين أسمائهم على حروف المعجم. تدريب الراوي ٢/٦٠٠-٦٠١، والرسالة المستطرفة ص ١٦٧.

(٩) المعاجم: جمع " معجم "، والمعجم في اصطلاح المحدثين الكتاب الذي تُرتَّب فيه الأحاديث على مسانيد الصحابة أو الشيوخ أو

كتب الزوائد:

وهي المصنفات التي تجمع فيها مؤلفوها الأحاديث الزائدة في بعض الكتب الحديثية عن الأحاديث الموجودة في كتب أخرى [١].

الكتب المصنَّفة في العلل:

وهي الكتب التي تجمع الأحاديث المعللة مع بيان عللها [٢].

قال الذهبي: " وللساجي [٣] كتاب جليل في علل الحديث يدل على تبحره في هذا الفن " [٤].

وقال السيوطي: "فإن معرفة العلل أجل أنواع الحديث، والأولى جعله على الأبواب ليسهل تناوله"[٥].

والكتب المصنفة في العلل بعضها غير مرتب كعلل على بن المديني [٦]، وبعضها مرتب إما على المسانيد كعلل للدارقطني [٧]، وإما على الأبواب كعلل لابن أبي حاتم [٨] وأبي بكر الخلال [٩].

كتب التخريج:

وكتب التخريج هي الكتب الموضوعة في تخريج الأحاديث الواقعة في كتاب مصنف في غير الحديث [١].

البلدان أو غير ذلك. والغالب أن يكون ترتيب الأسماء فيه على حروف المعجم، كمعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير للطبراني. مقدمة تحفة الأحوذي ص ١١٢.

(١) من أشهر كتب الزوائد: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأبي العباس البوصيري، وهو كتاب يشتمل على الأحاديث التي أخرجها ابن ماجه في سننه، ولم يخرجها أصحاب الكتب الخمس، دون الكتب التي شاركهم في إخراجها. ومنها: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، جمع فيه ما زاد على الكتب الستة من ستة مصادر حديثية هامة: مسند أحمد، ومسند أبي يعلى، ومسند البزار، والمعاجم الثلاثة للطبراني، وعني ببيان حال الأحاديث صحةً وضعفاً. مقدمة تحفة الأحوذي ص ١٢٤–١٢٥.

(٢) تيسير مصطلح الحديث ص ١٦٨.

(٣) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عديّ الضبيّ البصري الساجي، محدث البصرة وشيخها ومفتيها في عصره. كان من الحفاظ الثقات، توفي بالبصرة سنة ٣٠٧ هـ. السير ١٤/١٩٧، والأعلام ٣/٤٧.

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٩–٧١٠.

(٥) تدريب الراوي ص ٢٦٠.

(٦) هو ابن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن ابن المديني، بصري ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي ابن المديني. وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني. وقال النسائي كأن الله خلقه للحديث. التقريب ٢/٣٩–٤٠.

(٧) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، الشافعيّ، الإمام، الحافظ، المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذة، توفي سنة ٣٨٥ هـ. تذكرة الحفاظ ٣/٩٩١، والسير ١٦/٤٤٩.

(٨) هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالريّ، وإليهما نسبته. توفي سنة ٣٢٧ هـ. السير ١٣/٢٦٣، ولسان الميزان ٣/٤٣٢.

(٩) هو أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، الخلال مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة. من أهل بغداد. كانت حلقته بجامع المهدي. قال ابن أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة. وقال الذهبي: جامع علم أحمد ومرتبه. توفي سنة ٣١١ هـ. السير١٤/٢٩٧، والوافي بالوفيات ٨/٩٩، والأعلام ١/٢٠٦.

كتب الأجزاء:

والجزء في اصطلاح المحدثين: " بأن يفرد كل باب على حدة بالتصنيف، كرؤية الله تعالى أفرده الآجرى (٢)، ورفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الإمام أفردهما البخاري..." (٣).

وقد يفرد المحدثون أحاديث، فيجمعون طرقها في جزء (٤).

الكتب التي رتبت فيها الأحاديث على حروف المعجم بحسب أوائلها:

ويشمل على هذا النوع من التصنيف: الكتب المصنفة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة (٥)، وبعض المصنفات الجامعة أو الجامع (٦)، والمفاتيح والفهارس (٧)، التي صنفها العلماء لكتب مخصوصة تسهيلا على المراجعين في تلك الكتب، واختصاراً للوقت للعثور على الحديث الذي يريدونه فيها.

كتب في المراسيل:

ككتاب المراسيل لأبي داود (٨) صاحب السنن في جزء لطيف مرتب على الأبواب ولابن أبي حاتم وهو مرتب على الأبواب أيضا ومن أبوابه في أوله " باب ما ذكر في الأسانيد المرسلة أنها لا تثبت بها الحجة " (٩).

---

(١) كتب التخريج: هي الكتب التي تولى مؤلفوها فيها تخريج الأحاديث الواقعة في بعض المصنفات الأخرى، وهذه الكتب تتنوع بتنوع موضوع الكتب التي تُخرّج أحاديثها، فقد تكون الكتب المراد تخريج أحاديثها في التفسير أو الفقه أو اللغة أوغيرها، ومثالها: نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي، وهو كتاب خرّج فيه مؤلفُه الأحاديث التي ذكرها الفقيه المرغيناني الحنفي في كتابه الهداية في الفقه الحنفي. أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، فقيه شافعيّ محدث. نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة ٣٣٠ هـ، ثم انتقل إلى مكة، فسكنها حتى توفي بها في المحرم سنة ٣٦٠ هـ. تاريخ بغداد ٢٤٣/٢، ووفيات الأعيان ٦١٧/١، وتذكرة الحفاظ ١٣٩/٣، والأعلام ٩٧/٦.

(٣) تدريب الراوي ٦٠١/٢.

(٤) مثل: " جزء حديث أبي حميد الساعدي في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم "، و " جزء حديث المسيء صلاته بتجميع طرقه وزياداته " كلاهما لمحمد بن عمر بن سالم بازمُول. وطرق حديث " قبض العلم " وغير ذلك.

(٥) الكتب المصنفة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، وهي الكتب التي جمعت الأحاديث التي تداولتها ألسنة الناس، لبيان حالها صحةً أو ضعفاً، وأكثرها مرتب على نسق حروف المعجم. ومن أشهرها: " المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على ألسنة " للحافظ السخاوي. أسماء هذه المصنفات في الرسالة المستطرفة ص ١٩١-١٩٢.

(٦) المصنفات الجامعة أو الجامع: المراد بها الكتب التي تجمع أحاديث عدة كتب من مصادر السنة، وترتب فيها الأحاديث إما على الأبواب، أو على حروف المعجم بحسب أوائلها. ومن أشهر ما ألف فيه الجامع الكبير والصغير للسيوطي.

(٧) المفاتيح والفهارس: وهي الكتب التي قام بها بعض المتأخرين بوضع مفاتيح أو فهارس لكتب مخصوصة، فرتبوا أحاديث تلك الكتب على حروف المعجم، وذلك تسهيلاً على المراجعين في تلك الكتب، واختصاراً للوقت في العثور على الحديث الذي يريدونه في ذلك الكتاب. منها مفاتيح الصحيحين للتوقادي، وفهارس صحيح مسلم، وسنن ابن ماجه لمحمد فؤاد عبد الباقي. أصول التخريج ودراسة الأسانيد ص ٧٠.

(٨) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بَشير بن شدّاد الأزدي، السِّجستاني، ثقة حافظ، مصنّف السنن وغيرها، من كبار العلماء، مات سنة ٢٧٥ هـ. التقريب ٣٢١/١.

(٩) الرسالة المستطرفة ص ٨٥-٨٦.

وهناك أنواع أخرى من المصنفات في الحديث مذكورة في موضعها من الكتب المختصة، كما في " الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة " للعلامة محمد بن جعفر الكتاني [1]، و " مقدمة تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي " للعلامة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري [2] رحم الله الجميع.

---

(١) هو محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس بن محمد الزمزمي بن الفضيل بن العربي، الحسني، الفاسي، أبو عبد الله الإدريسي الشهير بالكتاني، مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف، وله نحو ٦٠ كتابا. مولده ووفاته بفاس، رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة سنة ١٣٣٢ هـ فأقام إلى سنة ١٣٣٨ هـ ثم انتقل إلى دمشق فسكنها إلى سنة ١٣٤٥ هـ وعاد إلى المغرب، فتوفي في بلده سنة ١٣٤٥هـ. معجم المؤلفين ٩/١٥٠، الأعلام ٦/٧٢.

(٢) هو أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن الحاج الشيخ بهادر المباركفوري، ولد بقرية مباركفور من أعمال أعظم كره سنة ١٢٨٣ هـ وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه وأصول الفقه على علماء كثيرين. له مؤلفات كثيرة من أشهرها: " تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي "، مات سنة ١٣٥٣ هـ في وطنه مباركفور. معجم المؤلفين ٥/١٦٦، وينظر في آخر مقدمة تحفة الأحوذي ص٦١٥-٦٣٤.

مراحل تدوين السنة عند الشيعة الاثني عشرية ومؤلفاهم

أما الشيعة فقد قُسم تاريخ تدوين السنة عندهم إلى خمسة أدوار.

الدور الأول: تدوين الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفي.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الصادع بالدين من خلال الوحي، لم يألُ جُهداً في أداء فريضة التبليغ والبيان. فكان صلى الله عليه وسلم يُجَسِّد الإسلام عَمَلاً، وقولاً، حتى أصبح بوجوده الكامل تمثالاً للشريعة، وأصبحتْ سيرتُه وسنّته وأفعاله وأقواله أسوةً حسنة وحجة مقنَّنة للمسلمين.

قد ادعى الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي بذل جهداً بليغاً في الحث على كتابة الحديث وتدوينه، بعد أن صدع بأمر تبليغه وبثّه، فقد أمر بتدوينه، ودَفَعَ كثيراً من الصحابة على مُزاولته، وقد تحققت عندهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الأعمال التالية:

١- " صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم ":

وهي الصحيفة التي كانت عند علي رضي الله عنه [١]، والمعروفة عند أهل السنة بـــ" صحيفة علي بن أبي طالب " كما ورد ذكره في رواية أبي جحيفة حين سأل علياً رضي الله عنه: " هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ فقال: " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يُعطى... " [٢].

٢- " كتاب علي عليه السلام ":

انتشر هذا الكتاب عند الشيعة بكبر حجمه، وإحتوائه على علم كثير، فقالوا: إنها صحيفة طولها سبعون ذراعا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أملاها على عليّ، فكتبها عليٌّ بخطه وأنه " أول كتاب جُمع فيه العلمُ " على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الأئمة الاثني عشر من ذريته يتوارثون ذلك الكتاب [٣].

وقد رُوي عن الشيعة عدة نصوص لثبوت هذا الكتاب في كتبهم ، وأكتفي بذكر بعضها:
كان هذا الكتاب عند عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام:

---

(١) يقرأ عن الصحيفة كتاب: دلائل التوثيق المبكّر للسنة والحديث ص ٤٢٠-٤٢٣، والسنة قبل التدوين ص ٣١٧-٤٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات: باب لا يُقتلُ المسلمُ بالكافر برقم(٦٩١٥)، وقد تقدم ذكره في ٤٧.

(٣) ينظر عن هذا الكتاب " الذريعة إلى تصانيف الشيعة " ٣٠٦/٢ بعنوان " أمالي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ". وأعيان الشيعة ٣٣٠/١-٣٣٨ و٣٥٠-٣٥٢، وتدوين السنة الشريفة ص ٦٢-٧٦.

١- روى عبد الرحمن بن الحجاج [١] وحفص بن البَختريّ [٢] وسلَمة بيّاع السابريّ [٣]، جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا أخذ كتاب عليّ عليه السلام فنظر فيه قال: "من يُطيق هذا؟" [٤].

وكان هذا الكتاب عند الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليّ بن الحسين زين العابدين عليهم السلام:

٢- قال عذافر الصيرفي [٥]: كنت مع الحَكَم بن عُتَيْبَة [٦] عند أبي جعفر عليه السلام، فجعل يسأله، وكان أبوجعفر عليه السلام له مُكرِماً، فاختلفا في شيء! فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بُنَيَّ، قُمْ فأخرِج كتاب عليّ، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، وفتحه، وجعل ينظر، حتى أخرج المسألة فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خطُّ عليٍّ عليه السلام، وإملاءُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأقْبَلَ على الحكم، وقال: يا أبا محمد! إذهب أنت وسَلَمة وأبو المقدام [٧] حيث شيءتم يميناً وشمالاً فوالله، لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام [٨].

٣- وسأل الحَكَم بن عُتَيْبَة الإمام الباقر عليه السلام عن تقسيم ديَّة الأسنان؟ فردّه الإمام قائلاً: "هكذا وجدناه في كتاب عليّ عليه السلام" [٩].

قلت: هذا الكتاب هو نفس الصحيفة التي كانت عند عليّ رضي الله عنه وهي معروفة عند أهل السنة بـــــ"صحيفة علي بن أبي طالب"، وما كان عنده غير هذه الصحيفة كتاب خاص ضخم، طوله سبعون ذراعا، كما يزعم الشيعة. وكلام الشيعة ضعيف مردود من ناحية العقل والنقل. وذلك لأسباب آتية:

أولاً: أين هذه الصحيفة أو الكتاب الذي يبلغ طوله سبعون ذراعاً؟ فلو كان موجوداً، أمَــا كـــان الأولى أن يُكتب فيه القرآن، والمعلوم أن القرآن كان يكتب في العظم والجلد وغير ذلك.

---

(١) هو البجلي، مولاهم كوفي بيّاع السابري، من أصحاب الصادق والكاظم، قال النجاشي: كان ثقة ثقة، ثبتاً وجهاً. رجال النجاشي ٤٩/٢-٥٠، والمفيد من معجم رجال الحديث ص ٣٠٩.

(٢) هو مولى بغدادي، أصله كوفي. من أصحاب الصادق والكاظم وثقة الأئمة الشيعة. رجال النجاشي ٣٢٤/١، والمفيد من معجم رجال الحديث ص ١٨٦.

(٣) هو سلمة بيّاع السابري: مجهول. المفيد من معجم رجال الحديث ص ٢٦١.

(٤) الكافي، الروضة ١٦٣/٨.

(٥) هو عذافر بن عيسى الخزاعي الصيرفي الكوفي، يكنى أبا محمد مولى خزاعة، من أصحاب الصادق: مجهول. المفيد من معجم رجال الحديث ص ٣٧٢.

(٦) هو أبو محمد الكندي، الكوفي، وقيل أبو عبد الله. وذكر الكشي في ذمه روايات كثيرة. المفيد من معجم رجال الحديث ص ١٩٠.

(٧) هو ثابت بن هرمز أبو المقدام الحداد، مشهور بكنيته. روى بعنوان ثابت أبو المقدام في كامل الزيارات، عن أبي جعفر (ع). رجال النجاشي ٢٩٢/١، والمفيد من معجم رجال الحديث ص ٩٧، ٧٢٥.

(٨) رجال النجاشي ص ٣٦٠ برقم (١٧٢).

(٩) أخرجه الكليني في الكافي، كتاب الديات: باب الخلقة... ٣٢٩/٧ برقم (١).

ثانياً: إن هذه الروايات لا تصح سنداً بسبب الانقطاع أو الضعف الشديد. وأما الروايات التي ذكرت في هذا الموضوع فهي:

الرواية الأولى – التي رواها عبد الرحمن بن الحجاج وحفص بن البَختريّ وسلَمة بَيَّاع السابريّ، جميعا عن أبي عبد الله عليه السلام – هي ضعيفة جداً، لأن في سنده محمد بن إسماعيل أبو الحسن النيسابوري يُدعى بندفر البندقيّ، وسلمة بياع السّابري كلاهما مجهولان عند أئمة الشيعة [(١)].

أما الرواية الثانية هي رواية عذافر الصيرفي فهي أيضاً ضعيفة جداً بعدة عللها. لأن في سنده أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، أبي العباس. قال الذهبي فيه: محدث الكوفة، شيعي متوسط، ضعفه غير واحد، وقواه آخرون [(٢)].

وشيخه محمد بن أحمد بن الحسن، قد سكت عنه الأئمة الشيعة [(٣)]، والمسكوت عنه يدلُّ جهالة حاله. أما شيخ محمدِ بنِ أحمد بن الحسن، هو عبادُ بنُ ثابت فلم أجد ترجمته! فيا تُرى من يكون؟ والله أعلم !

وبعد ذلك شيخ عباد، اســمه عبد الغفار بن القاسم، أبو مريم الأنصاري – مشهور بكنيته – كان رافضياً، ليس بثقة. قال ابن المديني: كان يضع الحديث. ويقال: كان من رؤوس الشيعة. وقال البخاري: ليس بالقوى عندهم. وقال أبو داود: وأنا أشهد أن أبا مــريم كذاب، لأني قد لقيته وسمعت منه. وقال أبو حاتم [(٤)] والنسائي [(٥)] وغيرهما: متروك الحديث [(٦)].

وأيضاً في سنده عذافر بن عيسى الصيرفي الكوفي، فهو مجهول كما سبق آنفاً.

وأما الرواية الثالثة فقد حكم عليه محمد باقر المجلسي [(٧)] بقوله أنه " ضعيف " [(٨)].

فالخلاصة في كتاب عليّ: أن هذا الكتاب هو نفس الصحيفة التي كانت عند عليّ وهي معروفة بـــ"صحيفة علي بن أبي طالب"، وقد اتفق عليها أهل السنة والشيعة الإمامية أنها "صحيفة علي بن أبي طالب"، بدليل ما رواه أبو جحيفة وهب السوائيّ وقد تقدم ذكرها.

ويقول ابن حجر: " ووقع للمصنف – أي البخاري – ومسلم من طريق يزيد التيمي [(٩)] عن علي قال: " ما عندنا شيء نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة فإذا فيها المدينة حرم " الحديث. ولمسلم عن أبي الطفيل عن علي ما خصَّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما

---

(١) المفيد من معجم رجال الحديث ص ٢٦١، ٥٠٠.

(٢) ميزان الاعتدال ١/١٣٦، والمفيد من معجم رجال الحديث ص ٤٢.

(٣) المفيد من معجم رجال الحديث ص ٤٩١.

(٤) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، أحد الحفاظ، مات سنة ٢٨٨ هـ. التقريب ٢/١٤٣.

(٥) هو أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النَّسائي، الحافظ صاحب السنن، مات سنة ٣٠٣ هـ. التقريب ١/١٦.

(٦) ميزان الاعتدال ١/١٣٦.

(٧) هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، علامة إمامي. ولي مشيخة الإسلام في أصفهان. وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث. مات سنة ١١١١ هـ. الأعلام ٦/٤٨.

(٨) مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ٤/٣٠٧.

(٩) هو ابن شريك بن طارق التيمي، الكوفي، ثقة، يقال إنه أدرك الجاهلية، مات في خلافة عبد الملك. التقريب ٢/٣٦٦.

في قراب سيفي هذا. وأخرج صحيفة مكتوبة فيها: " لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ" الحديث. وللنسائي من طريق الأشتر[١] وغيره عن علي فإذا فيها: "الْمُؤْمِنُوْنَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ..الحديث". ولأحمد[٢] من طريق طارق بن شهاب[٣]: " فيها فرائض الصدقة ". والجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، فنقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه والله أعلم "[٤].

٣- " كتاب فاطمة عليها السلام ":

يدّعي الشيعة أنه قد كان عند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابٌ عن أبيها، ورد ذكره عند العامة والخاصة[٥].

ذكره من العامة الخرائطيّ[٦]: عن مجاهد قال: دخل أُبَيُّ بن كعب على فاطمة رضي الله عنها ابنة محمد صلى الله عليه وسلم فأخرجتْ إليه كُرَبَةً فيها كتاب: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ"[٧].

وذكره من الخاصة أبو الحسن ابن بابَوَيْه القميّ[٨] بسنده عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام فليس ملك يملك إلاّ وهو مكتوب باسمه واسم أبيه "[٩].

ورُوى عن ابن مسعود أنه قال : جاء رجل إلى فاطمة فقال: يا بنت رسول الله هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندك شيء تُطْرِفينيه؟ فقالت: يا جارية، هاتِ تلك الجريدة، فطلبتْها فلم تجدها، فقالت: ويحك اطلبيها؛ فإنها تعدل عندي حسنا وحسينا، فطلبتْها فإذا هي قد قَمَّتْهَا في قُمامتها فإذا فيها : قال محمد صلى الله عليه وسلم : " لَيْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ

---

(١) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة النخعي، الملقب بالأشتر، مخضرم، نزل الكوفة بعد أن شهد اليرموك وغيرها، وولاّه عليٌّ مصر، فمات قبل أن يدخلها سنة ٣٧ هـ. التقريب ٢٣٤/٢.

(٢) هو ابن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، مات سنة ٢٤١ هـ، وله ٧٧ سنة. التقريب ٣٤/١.

(٣) هو ابن عبد السمش البَجَلي الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي، قال أبو داود: رأي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه، مات سنة ٣٢ هـ أو ٣٣ هـ. التقريب ٣٧٦/١.

(٤) فتح الباري ٢٠٥/١.

(٥) تدوين السنة الشريفة ص ٧٦.

(٦) هو أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري، الخرائطي، الإمام، الحافظ، الصدوق، المصنف. تاريخ بغداد ١٣٩/٢، والسير ٢٦٧/١٥.

(٧) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ص ٩٠ برقم (٢٢٦). رواة هذا الحديث كلهم ثقات سوى عبد الله بن رجاء بن عمر الغُداني، قال فيه ابن حجر: صدوق يهم قليلاً. تقريب التهذيب ١٩٦/١. فالحديث حسن بهذا الإسناد.

(٨) هو علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو الحسن، القمي، رأس الإمامية بقمّ في عصره. مولده ووفاته فيها، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة. يضرب بحفظه المثل، يقال: له ثلاث مائة مصنف، توفي سنة ٣٢٩ هـ. السير ٣٠٣/١٦، والأعلام ٢٧٧/٤.

(٩) الإمامة والتبصرة من الحَيْرة ص ١٨٠ برقم (٣٤).

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ (١).

٤- ما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عماله وغيرهم، فيما يتعلق بالأمور الدينية.

وهي كتابات كثيرة، تشتمل على مهمات أحكام الإسلام، وعقائده، وخطوطه العريضة، وبيان الأنصبة والمقادير الشرعية للزكاة، والديات، والحدود، والمحرّمات، وغير ذلك.

منها: كتابه إلى عمروبن حزم الأنصاري، عامله على نجران (٢)، (٣).

وكتابه إلى وائل بن حجر الحضرميّ، وقومه في حضر موت (٤)، (٥).

وكتابٌ في الزكاة والديّات، كان عند أبي بكر(٦).

وكذا صحائف أخرى للصحابة مثل "صحيفة جابر بن عبد الله"، و"صحيفة عبد الله بن أبي أوفى"، و"صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص"، و"صحيفة أبي موسى الأشعري"، و"صحيفة أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم" وغيرهم (٧).

الدور الثاني: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان ذلك نحو سنة ١١٤هـ

في الدور الثاني بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد أبي جعفر الباقر ما دَوّن الشيعة في الحديث شيئاً مستقلاً، لسبب منع تدوين الحديث من الحكّام – بزعمهم- رسمياً.

أما السبب الحقيقي الكامن وراء منع التدوين – في زعمهم- له عدّة عوامل ودوافع.

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير١٠/١٩٦برقم (١٠٤٤٢)، و٢٢/٤١٣ برقم (١٨٨٧٦). والحديث ضعيف، لأن في سنده سوار بن مصعب الهمداني قال البخاري فيه: منكر الحديث، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال أبو داود: ليس بثقة. وأما كلمة " قمامة ": فقال اللحياني: قُمامَة البيت ما كُسِحِ منه فأُلقي بعضه على بعض. وقال الليث: القَمُّ ما يَقَمُّ من قُمامات القُماش ويكنس يقال قَمَّ بيته يَقُمُّه قَمّاً إذا كنسه. تاج العروس، ولسان العرب مادة " قمم ".

(٢) النجران: وهي ناحية بين اليمن وهجر ينسب إليها جماعة كثيرة. معجم البلدان ٥/٢٧٠.

(٣) الفقيه والمتفقه ١/٣٥٨-٣٥٩، وكتاب الأموال ص ٤٤٧، والوثائق السياسية برقم (١٠٥).

(٤) حضر موت: وهي من بلاد اليمن من أقصاها. والمشهور بها أبو هنيدة وائل بن حجر الحضرميّ الكندي، كان ملكا عظيما بحضرموت، بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فترك ملكه، ونهض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشّر النبي صلى الله عليه وسلم بقدومه الناس قبل أن يقدم بثلاثة أيام، فلما قدم قرب مجلسه وأدناه ثم قال: هذا وائل ابن حجر أتاكم من أرض/ بعيدة من حضرموت طائعا غير مكره راغبا في الله وفي رسوله وفي دينه بقية أبناء الملوك، اللّهمّ بارك في وائل وفي ولده. ثم أقطعه أرضا. الأنساب ٤/١٧٩-١٨٠.

(٥) الطبقات الكبرى ١/٢٧٨و٣٤٩و٣٥١.

(٦) أخرجه البخاري في الزكاة: باب زكاة الغنم ٣/٣١٧ برقم (١٤٥٤).

(٧) يقرأ عنه تفصيلاً من كتب أهل السنة: الطبقات الكبرى ٤/٢/٨-٩ و٧/٢/١٨٩، والكفاية ص ٣٣٠، وتقييد العلم ص ١٠٥. ومن كتب الشيعة: تاريخ تدوين السنة ص ٢٩-٤٠، وتدوين السنة الشريفة ص ٧٨-٧٩، ومرآت الكتب ١/٧-٨، ومنع تدوين الحديث ص ١٩٩-٢١١.

منها: طمس فضائل أهل البيت المفسَّرة بأحقّيتهم والداعية إلى إمامتهم وخلافتهم.

ومنها: عدم إحاطة الحكّام بالأحكام.

ومنها: ما كان عند الخلفاء من خلفيات موروثة ونزعات ومؤهلات تتناسب مع الإجتهاد. ومن كل ذلك راموا خَلْقَ جوٍّ فقهيٍّ جديد يستطيع الخليفة من خلاله أن يتكيَّف لسدّ العجز الفقهيّ الذي يجده، وليبني هرماً فقهياً سياسياً جديداً.

ومنها: العوامل السياسية قد حدثت من جرّاء المنع عن السنة الشريفة والقول بحجّيّة رأي الصحابة وغيرها.

ومنها: إبعاد المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام.

ومنها: وهو أهمها وأكثرها خُطورة، وهو هدف الأساس من المنع لتدوين الحديث، إبعاد أهل البيت من ساحة الحُكْم والإمامة والخلافة.

فيزعم الشيعة أن الخلفاء والأمراء الأمويين فقد أزْوَوْا الأئمة الشيعة عن كل نشاط سياسي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يفسحوا لهم المجال في ذلك أصلاً، خاصة في تدوين الحديث حيث أن الحديثَ الممنوعَ كان منه – على زعمهم بل هوكله – ما تضمن تعين أهل البيت للخلافة والإمامة، ولو أتيح لها أن تنشر بين الناس، لما تمكّن الحكّام من إزْواء أهل البيت إلى هذه الدرجة.

فبهذا السبب قد ابتعد المسلمون في أخذ معالم الدين من أهل البيت فتركوهم ولجأوا إلى أخذ الدين وأحكامه من الغرباء، المُتطفِّلين على موائده، البُدَاء عن معارفه، والمعتمدين في الأحكام على الرأي والاستحسان والقياس. ثم جعلهم الحكّامُ عرضةً لكل أنواع التعذيب والهتك والفتك على التاريخ، وقابلهم علماء البلاط، والقائمون بأمرالدين، بالإتهام والجرح والقدح، والنبذ والاعتداء، وقابلوا رواياتهم بالردّ والإنكار والجحد.

أما الشيعة فلم تؤثّر فيهم تلك الأعمال، ولم يزدهم ذلك إلاّ ثباتاً على الحق وصموداً وإصراراً على الوقوف إلى جانبهم [1].

بسبب هذه العوامل المذكورة في الدور الثاني ما دَوّن الشيعة في الحديث شيءاً مستقلاً، بل كان جُلّ اعتمادهم على الصحائف التي كُتبتْ في الدور الأول كصحيفة علي وغيره من الصحابة، وكتاب علي وكتاب فاطمة.

مع هذا قد أُثِر عن علي بن الحسين عليهما السلام عند الشيعة رسائل أشهرها: " رسالة الحقوق " و" الصحيفة "، فقد قال أبوحمزة الثُّمَالي [2]: " قرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين وكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين فعرضت ما فيها عليه، فعرفه وصححه " [3].

---

(١) تدوين السنة الشريفة ص٤٢٣–٥٥٠، ومنع تدوين السنة ص ٣٧١–٤٠٣.

(٢) هو ثابت بن دينارأبي صفية، أبو حمزة الثُمَالي، مولى المهلب بن أبي صفرة. قال أحمد وابن معين: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: ليّن الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. ميزان الاعتدال ١/٣٦٣، والمفيد من معجم رجال الحديث ص ٩٦.

(٣) الكافي: باب صحيفة علي بن الحسين ٨/١٤، والفهرست للطوسي ص٦٨ .

قلنا: زعمهم باطل، والحق على خلافهم لأمرين:

١- أهل البيت عند أهل السنة والجماعة لهم كلّ الثناء والمدح.

٢- أحاديث آل البيت ومروياتهم منتشرة في كتب أهل السنة والجماعة.

قد يُعَدُّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه مِن أصحاب المئين، ورُوي عنه خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً (٥٣٧).

ورُوي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثاً.

ورُوي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ثلاثة عشر حديثاً.

وكذا رُوي عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ثمانية أحاديث [١].

الدور الثالث: وهو دور " الأصول الأربعمائة "، الذي يبتدئ من عهد أبي عبدالله جعفر بن محمد الصـــادق إلى عهد حسن العســـكري وكان ذلك نحو سنة ٢٦٠ هـــ.

الدور الثالث هو الدور الذي يعتقد الشيعة فيه بوجود ما يسمونه " الأصول الأربعمائة "، ومعناه عندهم باختصار: " أنَّ المصادر قد أحصت عدَّة ممن عاصروا الإمام جعفر الصادق، ورووا عنه، وانصرفت طائفةٌ كبيرة من هؤلاء لضبط ما رووه عن الإمام سماعًا في كتاب خاص، في مواضيع الفقه والتفسير والعقائد وغيرها، وقد اصطلح التاريخُ الشيعيُّ على تسمية هذه الكتب بالأصول، كما حصرها في أربعمائة أصل، وهذا ما نعنيه بالأصول الأربعمائة " [٢].

ولا شكَّ في أن " الأصول الأربعمائة " من أقدم وأشهر وأهم المصادر الرواية للشيعة الاثني عشرية، التي أُلفت في أعصار أئمتهم، ونعلم إجمالاً أنَّ تاريخ تأليف جُلّ هذه الأصول إلاَّ قليلاً منها كان في عصر أصحاب الإمام الصَّادق سواء كانوا مختصِّين به، أو كانوا ممن أدركوا أباه الإمام الباقر قبله، أو أدركوا ولده الإمام الكاظم بعده.

وصرَّح الشيخ أبو علي الطبرسي والمحقق الحِلِّيُّ والشهيد الثاني [٣] وغيرهم من الأعلام بأن " الأصول الأربعمائة " قد ألفت في عصر الصادق من أجوبة المسائل التي كان يُسأل عنها " [٤].

مع هذا فإنَّ بها علّة قادحة تفقدها أهميتها إنْ كان لدى الشيعة إنصافٌ مع أنفسهم، وهي أن كثيرًا من رواة الأصول فاسدُ المذهب، ومع هذا يروون عنهم ويحتجون بهم.

---

(١) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ص ٤٤، ١٣٠، ١٤٣، ١٧٠.

(٢) الأصول الأربعمائة ص ٧.

(٣) هو: الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن حسين بن محمد بن صالح العاملي، عز الدين الجبعي، الحارثي، الهمداني. عالم، مشارك في التفسير والحديث، والفقه والأصول والكلام وغير ذلك من العلوم. توفي سنة ٩٨٤ هـــ. معجم المؤلفين ١٧/٤، والأعلام ٢٤٠/٢.

(٤) الأصول الستة عشر من الأصول الأولية ص ٥.

قال الطوسي: " فإذا ذكرتُ كلَّ واحد من المصنفين وأصحاب الأصول، فلا بُدَّ من أن أُشير إلى ما قيل فيه من التعديل والتجريح، وهل يُعوَّل على روايته أو لا؟ وأبين عن اعتقاده، وهل هو موافقٌ للحق أو هو مخالف له؟ لأنَّ كثيرًا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة " (١).

فإنَّ رواة الأصول طبعاً لكلام شيخ الطائفة لا بُدَّ أن يخضعوا للتجريح والتعديل، ولا بُدَّ من معرفة هل بالإمكان التعويل على روايتهم أو لا؟ إلى آخر ما ذكره الطوسي مما يقدح في هؤلاء، ثم ذكر أخيرًا " أن كثيرًا من هؤلاء ينتحلون المذاهب الفاسدة، ومع ذلك فإنَّ كتبهم معتمدة "، فكيف يتابع الشيعةُ أصحابَ المذاهب الفاسدة في دينهم، ألن ينقل هؤلاء الرواة ما يعضد مذاهبهم الباطلة ونحلهم الفاسدة؟ ألاَ يدُلُّ هذا على فساد الدين، وأن هؤلاء يدسُّون كثيرًا من مذاهبهم في كتبهم، ثم ينقلها عنهم الشيعة، ويرويها أمثال الكليني والصدوق (٢) والطوسي في كتبهم، ويتديَّن بها الشيعة، وربَّما هي من مذاهبهم الفاسدة؟

إن مما ينسف فكرة الأصول الأربعمائة هذه نسفًا ذلك الاختلاف الشديد، والانقسام الذي انقسمت إليه الشيعة بعد موت جعفر الصادق، ودائمًا ما كان يحدث هذا التفرُّق والانقسام بعد موت كُلِّ إمام، فانقسم أصحابُ الأصول بين الفِرَقِ، واختلفت مذاهبهم على حسب معتقد كل فرقة – هذا على فرض وجودهم أصلاً – فقد انقسمت الشيعة بعد وفاة أبي عبدالله الصَّادق إلى ست فرق (٣)، فإلى أيِّ فرقة منها انتسب أصحابُ هذه الأصول؟ لا يعلم الشيعة أنفسهم إجابة هذا السؤال.

كذلك مسألة كون أصحاب الأصول الأربعمائة ممن كتبوا عن جعفر الصادق أو أبيه الباقر، وربَّما أدركوا ابنه الكاظم كما يذكرون، فإنَّه يدُلُّنا أن كل ذِكْرٍ لمن أتى بعد الكاظم من الأئمة وأحوالهم وحوادثهم، إن ذُكرتْ في الأصول الأربعمائة، فإنَّما هي كذب وافتراء، لأنَّهم كتبوا ما لم يدركوه، وما حدث بعد تدوينهم، فهل يعني هذا أن الأصول الأربعمائة، وأخبار الشيعة ومسائلها توقَّفت عند إمامهم السَّادس؟.

مع هذا !! فهذه الأصول الأربعمائة عند الشيعة الإمامية كانت من أوثق الكتب التي ألَّفها أصحاب الأئمة خصوصاً الصادق عليهم السلام (٤)، وأن هذه الأصول مما أجمع الأصحاب على صحتها وعلى العمل بها (٥)؛ لأن أصحاب الصادق والرواة عنه وهم نحو أربعة آلآف كانوا من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات (٦). واعترفوا بأن الكتب الأربعة المشهورة (٧) عندهم مأخوذة من هذه الأصول. وبهذا أصبحت الكتب الأربعة لا حاجة إلى المصنفات والأصول القديمة لاندراسها بعد الطوسي (٨).

---

(١) الفهرست للطوسي ص ٣٧.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمي، ويعرف بالشيخ الصدوق: محدث إمامي كبير، لم ير في القميين مثله. نزل بالري وارتفع شأنه في خراسان، وتوفي سنة ٣٨١ هـ، ودفن في الري. له نحو ثلاثمئة مصنف. الأعلام ٦/٢٧٤.

(٣) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي ص ٧٩.

(٤) الموضوعات في الآثار ص ٣٨.

(٥) كليات في علم الرجال ص ٤٨٥.

(٦) دائرة المعارف الشيعية ٢/٤٠.

(٧) وهي الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار.

(٨) كليات ص ٣٣٦.

والخلاصة فيه أن هذه " الأصول الأربعمائة " هي أساس للكتب الثمانية التي يأتي ذكرها في الدور الرابع والخامس، أما ما أهميتها من حيث صحتها ؟ فلا بد لنا أن نتأمَّل أيضا.

ويقول الشهيدُ الثاني في هذا الصَّدد كان قد استقر أمر الإمامية على أربعمائة مصنّف، سمَّوها أصولاً، فكان عليها اعتمادُهم، وتداعت الحال إلى أن ذهب معظم تلك الأصول، ولخصها جماعة في كتب خاصَّة تقريبًا على المتناول، وأحسن ما جمع منها " الكافي "، و" التهذيب "، و" الاستبصار "، و" من لا يحضره الفقيه " [١].

الحقُّ أنّه لم تكن لهم كتب، ولا أصول، ولا روايات، لإضلال جماهير الشيعة عن الحقِّ الواضح، وهو أنَّ الدين الذي ارتضاه الله لنفسه، ولرسوله محمَّد صلى الله عليه وسلم قد حفظه لأمَّته، وهو ما عليه جماهير المسلمين من الحق، الثابت بأعلى طُرُقِ التحمُّل والنَّقل، لكن القوم مغيَّبون، فلا يبصرون.

الدور الرابع: الدور الأصول الأربعة، (٢٦٠ هـ إلى سنة ١٠٠٠ هـ) ويُعتبر هذا الدور لدي الشيعة بالدور المجاميع أو " الأصول الأربعة ".

إن الكتب الرئيسة التي تُعَدُّ مصادرَ الأخبار عند الاثني عشرية هي ثمانية، يسمونها: "الجوامع الثمانية"، ويقولون: إنّها المصادر المهمة للأحاديث المرويَّة عن الأئمة.

قال عالمهم محمد صالح الحائري [٢]: " وأمَّا صحاح الإمامية، فهي ثمانية: أربعة منها للمحمَّدِين الثلاثة الأوائل، وثلاثة بعدها للمحمَّدِين الثلاثة الأواخر، وثامنها لحسين النوري [٣] " [٤].

أما المؤلفات الحديثية التي كُتبت في هذا الدور وتعتمد عليها الشيعة في أحاديثهم فهي أربعة كتب، عليها مدار الحديث والعمل ، وهذه الكتب الأربعة المتقدمة التي تسمى " الأصول الأربعة المعتمدة "، وهي:

أولا: " الكافي في الأصول والفروع " لمحمد بن يعقوب الكُليني، الملقب بثقة الإسلام، مات سنة ٣٢٦ هـ أو ٣٢٩هـ.

و" الكافي " هو أوَّل هذه المصادر وأصحّها عندهم، الذي زعموا أنّه لما أَلَّفه في عصر الغيبة الصُّغرى، عَرَضَه على الإمام الغائب في السرداب، فقال: " هذا كافٍ لشيعتنا " [٥].

وقيل عن كتابه أيضا: " هو أجل الكتب الأربعة والأصول المعتمدة " [٦].

وقد أكثروا من الثَّناء عليه، وهو عمدة كتب مذهبهم.

---

(١) ضياء الدراية، الباب العاشر ص ٧١ وما بعدها.

(٢) ابن الميرزا فضل الله بن محمد حسن الحائري، الكوهستاني، المازندراني، السمناني، البهشري. توفي سنة ١٣٩١ هـ موسوعة طبقات الفقهاء ٧٣٦/١٤، والموقع الإلكتروني لمعجم البابطين لشعراء القرن الرابع عشر.

(٣) حسين بن محمد تقي النوري، المازندراني، الطبرسي، فقيه إمامي. ولد في قرية (يالو) من قرى نور (إحدى كور طبرستان) وتوفي في سنة ١٣٢٠ هـ في الغريّ (بالكوفة) . الأعلام ٢٥٧/٢.

(٤) مقال لمحمد صالح الحائري ضمن كتاب الوحدة الإسلامية ص ٢٣٣.

(٥) مقدمة الكافي ٢٥/١.

(٦) الذريعة ٢٤٥/١٧، ومستدرك الوسائل ٤٣٢/٣.

عاش الكليني زمن النواب الأربعة، اشتمل كتابه على (٣٤) كتاباً، و(٣٢٦) باباً، وعدد أحاديثه (١٦٠٠٠) حديثاً، وأغلب الروايات لا تصل للنبي صلى الله عليه وسلم، أو الأئمة الأوائل، لأن الحديث عندهم ما رُوي عن " أحد الأئمة المعصوم " فلا فرق عندهم بين واحد منهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، والروايات أكثرها عن جعفر الصادق.

ثانيا: " من لايحضره الفقيه " لمحمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي، المشهور بالصدوق، مات سنة ٣٨١هـ.

وكتابه خاص بمسائل الفقه عندهم، وقد اشتمل على (١٧٦) باباً، أولها الطهارة وآخرها النوادر، وعدد أحاديثه (٩٠٤٤) حديثاً، وقد ألفه ولم يذكر الأسانيد فيه لئلا تكثر طرقه، ورَوَوْها للاختصار.

ثالثا: " تهذيب الأحكام " لأبي جعفر الطوسي، المعروف بشيخ الطائفة، مات سنة ٤٦٠هـ.

وكتابه خاص في فروع الفقه، ويقع فيه (٣٩٣) باباً، وعدد أحاديثه (١٣٥٩٠) حديثاً.

رابعا: " الاستبصار فيما اختلف من الإخبار " للطوسي أيضا، وهو مجرد اختصار للتهذيب، ويقع في ثلاثة أجزاء، جزأين في العبادات، والثالث في بقية أبواب الفقه، بلغت أبواب الكتاب (٣٩٣) باباً، وحصر أحاديثه بـ (٥٥١١) حديثاً، وطبع في الهند، وكذا في إيران.

هذه الكتب الأربعة المتقدمة تسمى عندهم الأصول الأربعة المعتمدة، يقول الفيض الكاشاني [1]: " إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهودة عليها بالصحة من مؤلفيها " [2].

وهذه الكتب الأربعة عندهم مُتواترة في مجموعها. يقول الحر العاملي: " قد عرفت أنَّ أكثرها متواترٌ لا نزاع فيه، وأقلها – على تقدير عدم ثبوت تواتره – فهو خبرٌ محفوف بالقرينة القطعيَّة، ومعلوم قطعاً بالتتبع والتَّواتر، وأن التواترَ تلك الكتب السابقة وشهرتها أعظمُ وأوضحُ من تواتر كتب المتأخرين " [3].

الدور الخامس: الدور الجمع والتهذيب (١٠٠٠ هـ – ١١١١ هـ). ويُعرف هذا الدور عند الشيعة بالدور " المجاميع الأربعة المتأخرة "، أو " الدور الجمع والتهذيب.

قد ألَّف الشيعة في القرن الحادي عشر وما بعده مجموعةً من المُدَوَّنات، ارتضى المعاصرون منها أربعة،

---

(١) هو محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشي، مفسر من علماء الإمامية ورد اسمه " محسن بن مرتضى " و " محسن بن محمّد " و " محمد محسن " وقيل له " الفيض " وعرف جده بفيض الله وبالفيض. وجاءت نسبته " الكاشي " و " الكاشاني " و " القاشاني " ويقال له: ملا محسن فيض الكاشي، مات سنة ١٠٩٠ هـ، وقيل ١٠٩١ هـ. الأعلام ٥/٢٩٠.

(٢) الوافي ١/١١.

(٣) الذريعة ١٧/٢٤٥، ومستدرك الوسائل ٣/٤٣٢.

سَمَّوْها بالجاميع الأربعة المتأخرة، وهي:

أولا: " الوافي " لمحمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المدعو بمحسن، المشتهر بالفيض الكاشاني، مات سنة ١٠٩١هـ [١].

جمع المؤلف في كتاب " الوافي " الكتب الأربعة المتقدمة " الكافي، ومن لايحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار "، مع شرح أحاديثها المشكلة، وعدد أحاديثه (٥٠٠٠٠) حديث، ويحتوي على (١٤) جزءا في الأصول والفروع والسنن والأحكام [٢].

ثانيا: " وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة " لمحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين، الحر العاملي، مات ٢١ رمضان سنة ١١٠٤هـ.

هو أجمع كتاب لأحاديث الأحكام عندهم، جَمَعَ فيه مؤلِّفه رواياتهم عن الأئمة من كتبهم الأربعة، التي عليها المدار في جميع الأعصار كما يقولون. ورتبه على أبواب، واستغرق لجمعه عشرين سنة، وأحاديثه (٣٥٨٥٠) حديثاً.

وزاد عليها رواياتٍ أخذها من كتب الأصحاب المعتبرة تزيد على سبعين كتابًا، كما ذكر صاحبُ [٣] " الذَّريعة "، ولكن ذكر الشيرازي في " مقدمة الوسائل " أنها " تزيد على مائة وثمانين "، ولا نسبةَ بين القَولَين، وقد ذكر الحر العاملي أسماء الكتب التي نقل عنها، فبلغت أكثر من ثمانين كتابًا، وأشار إلى أنّه رجع إلى كتبٍ غيرها كثيرة، إلاّ أنه أخذ منها بواسطة مَن نقل عنها [٤].

ثالثا: " بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار " لمحمد باقر بن محمد تقي بن المقصود علي، الملقب بالمجلسي، مات ٢٧ رمضان سنة ١١١١هـ وكان عمره ٧٣ سنة.

ووقع بحار الأنوار على تجزئة مؤلفه في خمسة وعشرين مجلداً، لكنه في طبعة أصبح (١١١) مجلداً.

قال المجلسي:" اجتمع عندنا بحمد الله سوى الكتب الأربعة نحو مائتي كتابٍ، ولقد جمعتها في بحار الأنوار [٥].

رابعا: " مستدرك الوسائل " للشيخ الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي بن الميرزا علي محمد بن

---

(١) بحار الأنوار ص ٥٥.

(٢) معجم رجال الحديث ٢٤١/١٧، ومقدمة وسائل الشيعة ١/ ١.

(٣) محسن أو محمد محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني، عالم بتراجم المصنفين، مع كثير من التحقيق والتحري. من أهل طهران. ولد بها وانتقل إلى العراق سنة ١٣١٣هـ فتفقه في النجف وأجيز بالاجتهاد قبل سن الأربعين. وشارك في قضية الانقلاب الدستوري في إيران. توفي سنة ١٣٧٩ هـ. الأعلام ٢٨٨/٥.

(٤) مقدمة وسائل الشيعة ١/ ٤-٨، ٢٠ ٣٦-٣٩، ، وأعيان الشيعة ٢٩٢/١، والذريعة ٣٥٢/٤.

(٥) اعتقادات المجلسي ، نقلا عن مسألة التقريب للقفاري ٢٧٥/١.

تقي النوري، الطبرسي، مات سنة ١٣٢٠هـ.

عدد أحاديثه (٢٣٠٠٠) حديث، جمعها في مواضيع متفرقة، ورتبها على ترتيب الأبواب المناسبة للوسائل.

قال آغا بزرك الطهراني [١]: " أصبح كتاب المستدرك كسائر الجاميع الحديثية المتأخرة في أنه يجب على المجتهدين الفحول أن يطلعوا عليها ويرجعوا إليها في استنباط الأحكام، وقد أذعن بذلك جل علمائنا المعاصرين " [٢]. ثم استشهد ببعض أقوال شيوخهم المعاصرين باعتماد المستدرك من مصادرهم الأساسية.

ولكن يبدو أن بعض شيوخهم لم يوافقوا على ذلك فنجد صاحب أحسن الوديعة [٣] ينتقد بشدة هذا الكتاب ويقول: " نقل منه عن الكتب الضعيفة الغير المعتبرة ... والأصول الغير الثابتة صحة نسخها، حيث إنها وجدت مختلفة النسخ أشد الاختلاف "، ثم قال: بأن أخباره مقصورة على ما في البحار، وزعها على الأبواب المناسبة للوسائل، كما قابلته حرفاً بحرف [٤].

---

(١) هو محسن (أو محمد محسن) بن علي بن محمد رضا الطهراني: عالم بتراجم المصنفين، مع كثير من التحقيق والتحري. من أهل طهران وولد بها، توفي سنة ١٣٨٩ هـ الأعلام ٥/٢٨٨.

(٢) الذريعة ٢/١١٠-١١١.

(٣) هو محمد مهدي الخوانساري، الأصفهاني، الكاظمي، هو رجل دين شيعي إيراني، مولود بالعراق وعاش وتوفي ودفن بها، وهو مؤلف كتاب " أحسن الوديعة " الذي كتبه تتمة لكتاب عمه محمد باقر الخوانساري المعروف باسم " روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات ". توفي سنة ١٣٩٠ هـ ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١/٢٨٩، و٢٤/٢٤٢، والموقع ar.wikipedia.org

(٤) أحسن الوديعة ص ٧٤.